(٣٧) من تراث الكوثرى

من عِبَرِ التاريخ في الكَيْد للإسلام

ألفه

محمد بن زاهد الكوثرى



الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

☎ ٥١٢٠٨٤٧

(٢٧) من تراث الكوثرى

من عِبَرِ التاريخ في الكَيْد للإسلام

ألفه

محمد بن زاهد الكوثرى



الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

☎ ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٤٦٠٩م
الترقيم الدولى 977-315-079-8

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذه كلمات حررتها تحت عنوان (من عبر التاريخ) لتفيد استذكار صنوف الكيد التى دبرها أعداء الإسلام مدى الدهور من الداخل والخارج ، وتعرف أبرز الشخصيات فى تلك الفتن المدبرة وفيها عظات وعبر لمن أراد أن يتذكر نفعها . والله سبحانه ولى الصون والعون .

ليس بخاف ما لقيه رسول الله ﷺ وأصحابه الأبرار ﷺ من صنوف العنت من أعداء الدين الإسلامى فى مبدأ الدعوة الإسلامية بل توالت صنوف كيدهم إلى أن بدأ الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا فارتد كيد الكائدين إلى نحرهم بفضل تفانى المسلمين فى التأسى بتوجيه حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى كل صغير وكبير .

وكانت مصابرة الصحابة ﷺ ومثابرتهم فى سبيل الذب عن دين الله ، والدفاع عن رسول الله ﷺ فوق كل وصف حتى شمل النور ، وعم الحبور ، وبرزت هذه الأمة حاملة لمشعل الهداية تنشر الدين الإسلامى فى شعوب العالم حتى تم ما تم



مما بهر عيون البشر وما زلنا به نفخر ، ولا عجب إذا لقينا بعض أتعاب فى سبيل الله فى آخر الزمن ، ولا طريق إلى التغلب على تلك المتاعب إلا باتخاذ النبى ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أسوة حسنة فى وجوه المثابرة والمصابرة إزاء أخطر الأحداث ، فاستذكار صنوف الكيد من الأعداء يجعلنا نأخذ حذرنا وأسلحتنا فى كل موقف بما يناسبه. وما عمله بنو النضير من دسهم إلى قريش فى قتال رسول الله ﷺ وحضهم على القتال ودلالتهم على العورة ، وما صنعه بنو قريظة وأهل خيبر من أنواع المكر نماذج لدسائسهم ، وتدبير المسلمين إزاء تلك الأحداث نبراس يهدى إلى طريق النجاح فى اقتحام ما يماثلها من المشاكل التى تحدث فيما بعد ، وبعد أن انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى وانتشر الإسلام في بقاع الأرض فى عهدىْ أبى بكر وعمر وأوائل عهد عثمان ﷺ بدأت الفتن ترفع رؤوسها فى عهد ذى النورين باستضعاف الفاتنين للين جانبه ، وسعيهم الحثيث فى إثارة النفوس ضده بطرق خبيثة لم تكن الصحابة ﷺ خبروا مثل تلك المكائد بعدُ فاندفع مندفعون إلى الفتنة حتى حدث ما حدث مما أوقف التقدم السريع إيقافًا محزنًا.

وهكذا استمرت الفتن بعده بمسعى شخصيات تلفعت بغير أزيائها ، ولسنا ننسى ما كان يصنعه عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليهودى من تنقله من بلد إلى بلد يتعثر

فى أذياله لإثارة الفتن فى عهد عثمان رضي الله عنه بطرق شيطانية لم يكن الجمهور على يقظة منها .

قال المقريزى فى الخطط (٤ - ١٤٦) : «إن رجلا من اليهود فى خلافة عثمان أسلم فقيل له عبد الله بن سبأ وعرف بابن السوداء وصار ينتقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم فلم يطق ذلك فرجع إلى كيد الإسلام وأهله ونزل البصرة سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح فأقبل عليه جماعة ومالوا إليه وأعجبوا بقوله . فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ أمير على البصرة فأرسل إليه فلما حضر عنده سأله ما أنت ؟ فقال : رجل من أهل الكتاب رغبت فى الإسلام وفى جوارك. فقال: ما شيء بلغنى عنك.؟ اخرج عنى. فخرج حتى نزل الكوفة منها فسار إلى مصر واستقر بها وقال فى الناس العجب ... وتحدث فى الرجعة حتى قبلت منه . فقال بعد ذلك : إنه كان لكل نبى وصى وعلى بن أبى طالب - رضي الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن على بن أبى طالب وصيه فى الخلافة على أمته. وقال: واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق فانهضوا فى هذا الأمر ، وابدؤوا بالطعن فى أمرائكم فأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا به الناس ، وبث دعاته وكاتب من مال إليه من أهل الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السر إلى ما عليه

رأيهم ، وصاروا يكتبون إلى الأمصار كتبًا يضعونها فى عيب ولاتهم فكتب أهل كل مصر منهم إلى أهل المصر الآخر بما يصنعون حتى ملؤوا بذلك الأرض إذاعة».

قال ابن عساكر فى تاريخ دمشق : «كان أصله من اليمن وكان يهوديا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويُدخل بينهم الشر ودخل دمشق لذلك» . وأفاض ابن جرير فى أنبائه فى تاريخه . هكذا نمت الفتنة فى عهد عثمان واستفحلت وطمت حتى انتهت إلى ما يعلمه الجميع . وهذا اليهودى نفسه هو الذى يقول فى عهد على رضي الله عنه أنه وصى رسول الله ﷺ وخليفته على أمته من بعده بالنص . وأحدث القول برجعة على بعد موته إلى الدنيا وبرجعة رسول الله ﷺ أيضًا (كما هو رأى بعض اليهود فى يوشع) وزعم أن عليا لم يقتل وأنه حى وأن فيه الجزء الإلهى وأنه هو الذى يجىء فى السحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه كما فى الخطط (٤ - ١٨٢) .

ثم قال المقريزى : «ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وعنه أخذ القول برجعة الإمام بعد موته إلى الدنيا كما تعتقده الإمامية إلى اليوم فى صاحب السرداب (آخر الأئمة الاثنى عشر) وهو قول بتناسخ الأرواح[١] وعنه أخذوا

---

(١) والقول بالرجعة موجود فى تلمود اليهود وهو ينافى دعوة رسول الله ﷺ .

أيضًا القول بأن الجزء الإلهى يحل فى الأئمة بعد على بن أبى طالب وأنهم بذلك استحقوا الإمامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة ، وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين (العبيديين) ببلاد مصر ا هـ ».

وعلى هذا الاعتقاد إسماعيلية الهند ولهم هناك جامعة بل تعدوا إلى نشر دعاياتهم بمصر اليوم بواسطة بعض الجامعيين لهواهم فى مصر منذ قديم من حيث أن القاهرة كانت عاصمة ملكهم فى عهد العبيديين - الذين يسميهم بعضهم بالفاطميين كذبا وزورا - وما فعله على كرم الله وجهه من إيقاد الأخدود لأشياع هذا الخبيث معروف فى كتب الفرق ، وتواريخ النحل ، وقد نص ابن رزام ، والباقلانى ، وعبد القاهر البغدادى ، وابن السمعانى ، وابن الجوزى ، وسبطه ، وابن حجر ، والسخاوى ، والشمس بن طولون وغيرهم من ثقات أهل العلم على أنهم ليسوا بفاطميين وإن توهم ابن خلدون ، وابن الأثير ، والمقريزى صحة نسبهم لأسباب مشروحة فى إعلان السخاوى وغيره .

قال أبو شامة الحافظ فى الروضتين : ولم يكونوا فاطميين وإنما كانوا ينتسبون إلى عبيد - وكان اسمه سعيدًا - وكان يهودياً حدادًا بسلمية - بحمص فى الشام -.

وقال ابن كثير فى تاريخه (١٢ - ٢٦٧) . وكان أول ملك منهم المهدى . وكان من سلمية حدادًا .. وكان يهودياً فدخل

بلاد المغرب . وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوى فاطمى ، وقال عن نفسه إنه المهدى» .

وعن فقيه العبيديين يعقوب بن كلس يقول ابن عساكر فى تاريخ دمشق «كان يهودياً من أهل بغداد ، خبيثًا ذا مكر وله حيل ودهاء ، وفيه فطنة وذكاء» - إلى أن ذكر كيف أسلم طمعًا فى الوزارة -.

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام الكبير عن فقيههم الآخر النعمان القيروانى . «وتصانيفه تدل على زندقته وانسلاخه من الدين ، أو أنه منافق نافق القوم كما ورد أن مغربيا جاء إليه فقال : قد عزم الخادم على الدخول فى الدعوة - يعنى دعوة ملاحدة الإسماعيلية - فقال : ما يحملك على ذلك ؟ قال : الذى حمل سيدنا . قال : نحن أدخلنا فى هواهم حلواهم . فأنت لماذا تدخل.؟!».

وفى العبر للذهبى ، وشذرات الذهب لابن العماد (٣ - ٤٧) : «والنعمان بن محمد بن منصور القيروانى القاضى أبو حنيفة الشيعى ظاهرًا . الزنديق باطنًا قاضى قضاة الدولة العبيدية، صنف كتاب ابتداء الدعوة وكتابًا فى فقه الشيعة وكتبا كثيرة تدل على انسلاخه من الدين ، يبدل فيها معانى القرآن ويحرفها، مات بمصر سنة ٣٦٣هـ فى رجب وولى بعده ابنه».

وقد سلم المعز العبيدى - بانى القاهرة - أبا بكر النابلسى

العابد المشهور ليهودى ليسلخه فسلخه وهو يتلو القرآن كما فى تاريخ ابن كثير (١١ - ٢٨٤) فيعلم من ذلك أن سدا دولة العبيديين ولحمتها اليهودية نسبا ونحلة .

والذين ينوهون بهم من غير نظر إلى الحقائق هم الذين يسعون فى إحياء ذكرى أمثال المتنبى ، وأبى العلاء المعرى مدفوعين من جامع للمعرتين فى التنويه بالاثنين كأنهم لا يجدون فى رجال الإسلام وأدباء العرب من يستحق مثل هذا الإجلال من غير الأظناء المتهمين فى الخُلق والدين !! وما يكون هذا إلا تنويها بالإلحاد والملحدين يأباه أهل اليقين .

وكان الباقلانى يقول عن العبيديين : «هم قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض» حتى ألف (كشف الأسرار وهتك الأستار) فى الرد على كتاب (البلاغ الأعظم والناموس الأكبر) لبعض قضاة العبيديين بمصر .

وألف بعده الحافظ أبو شامة فيهم كتابه «كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر ، والكذب ، والمكر والكيد» .

وقال عنهم ابن كثير فى تاريخه (١٢ - ٢٦٧) : كانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة».

وقال أبو الحسن القابسى : «الذين قتلهم عبيد الله وبنوه بعده ذبحًا فى دار النحر التى كانوا يعذبون فيها الناس ليردوهم

عن الترضى على الصحابة - أربعة آلاف رجل ما بين عالم وعابد اختاروا الموت على لعن الصحابة».

وأما الذين انصاعوا لهم وشرقوا - على مصطلحهم - ففى غاية من الكثرة وأما الذين قتلوهم من عامة المسلمين فيما بين المغرب الأقصى ومصر فلا يعلم عددهم إلا الله سبحانه . والوثيقة التى أصدرها علماء المذاهب وأئمتها فى إبعادهم عن النسب الزكى مدونة فى منتظم ابن الجوزى ، وتاريخ ابن كثير وغيرهما ، والموقعون عليها جبال فى الدين والعلم والثقة . ومن ظن انحيازهم إلى خليفة بغداد قاسهم بنفسه ولم يعرفهم ولا عرف ذلك الخليفة كما بينت ذلك فيما علقت على «كشف أسرار الباطنية [(١)]» فليس من شأن قلم الحر المعتز بدينه الاسترسال فى مناصرة أعداء الإسلام الذين اكتظت كتب ثقات أهل العلم بأنبائهم الإلحادية .

قال ابن كثير فى تاريخه (١٢ - ٩) عن الحاكم بأمر الله منهم : «كان يروم أن يدعى الألوهية كما ادعاها فرعون فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على

---

(١) وفى المحضر الذى أصدره أهل العلم سنة ٤٠٢ هـ «أنهم أدعياء لا نسب لهم فى ولد على رضى الله عنه...» ومن جملة من وقع عليه الشريفان الرضى والمرتضى، أبو محمد الأكفانى القاضى ، وأبو حامد الاسفرانينى ، وأبو الحسين القدورى وغيرهم من كبار الأئمة وهذا حكم شرعى يجب الخضوع له ولو أعطى هؤلاء الدنيا بحذافيرها لما حكم بما يخالف الحق . (ز).

أقدامهم صفوفًا ، إعظامًا لذكره ، واحترامًا لاسمه . فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدًا له ، حتى إنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم ، ممن كان لا يصلي الجمعة ، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة . وغيره ويسجدون للحاكم ا هـ».

وقال ابن الجوزي في المنتظم (٧ - ٢٩٨) : «ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عَنَّ له أن يدعى الربوبية . فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحدنا ، يا أحدنا ، يا محيي ، يا مميت» قبحهم الله جميعا .

ومن علم أن مدة حكم الحاكم هذا من سنة ٣٨٦ هـ إلى سنة ٤١١ هـ يرى الاعتذار عنه بأنه كان مجنونا كاملا لا يلتفت إليه . لأن من المحال في جاري العادة أن يستبقى حاكم وهو مجنون مدة خمس وعشرين سنة ، ومن الحاكم هذا تفرعت نحلة تأليهه عند الدروز، وفي الجزء الثالث من خلاصة الأثر حكم أهل المذاهب فيهم . ولسنا ندري دولة من الدول في تاريخ الإسلام حكمت على رقاب العرب صنوف الصقالبة والصقلبيين ، وطوائف الروم ، والأرمن ، واليهود ، والكتابيين سوى دولة العبيديين فيكون من المضحك المبكي محاولة

الاعتـزاز بأمثـال هؤلاء فى آخر الزمن ، والـمحراب القـديم فى الأزهر كمبكى اليـهود فى المسجد الأقـصى فى نظر بقايا هؤلاء الإسمـاعيلية فى الهند ومن العـجيب تمكنهم من إقامـة دعايات لهم بمصر فى غفلة من الزمن .

ترى شابا فى الجامـعة الإسماعيليـة فى كجرات - وهى لا تقـبل طالبا لا يكون إسـماعـيليا روحـا ودما كـما هو مـعلوم - ينتسب يوما مـا إلى الأزهر باسم أنه شـافعى أو حنفى . ويبـدى نشاطا غريبا فى الدعاية للإسماعيلية إلى أن تجده يقول فى العدد (٣٣١) من مجلة الرسـالة فى مقال له عن ديوان تميم بن الـمعز العبيدى : «فإذا ما أتيح للفاطـميين أن يقيموا دولتهم الكبرى فى وادى النيل فنحن أمـام دولة عربيـة هاشـمية تحمى اللغـة كمـا تحمى كتـابها ودينها». وهذا قلب للحقائق كـما أوضحت ذلك فى (٣٦ - ١٣٦١ هـ) من مـجلة الإسلام : وهذا الشـاب نفسـه هو الذى يقول فى ذلك المقال «ومن أحـسن ما قيل فى تميم بن المعز الفاطمى قول ابن رشيق -

أصح وأعلى مـا سمـعناه فى الندى
من الخـبـر المـأثـور منذ قـديم
أحاديث ترويهـا السيول عن الحيا
عن البـحـر عن كف الأمـيـر تمـيم

اهـ» .

فجعل ممدوح ابن رشيق تميم بن المعز العبيدى مع أنه لم يدركه حتى يتصور أن ينظم فى مدحه قصائد رنانة ، بل ممدوحه هو بلَدِيّ ابن رشيق تميم بن المعز باديس المتأخر الوفاة ، وليس بين ترجمتيهما فى تاريخ ابن خلكان غير خط فاصل وفيه النص على أن الممدوح هو ابن باديس لكن الدعاية تجعل الليل نهارًا والصيف شتاء .

وزد عن ذلك ما تراه فى الجزء الثالث من مجلة الأزهر لسنة ١٣٥٧ هـ (ص ١٨٠) تحت ستار التوصية بالابتعاد عن التعصب .

«٣ - أن يكون الأزهر كعبة جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، ويدرس فيه المذاهب العلوية : كمذهب الزيدية ، والإمامية ، والإسماعيلية - إن كان له بقية - فهو الأحق من سواه» .

انظر إلى هذه الجرأة وهذه الصراحة ممن يعرف ما هى نحلة الإسماعيلية ؟! وصاحب المقال كان يعرف كتبهم المحفوظة فى دار الكتب المصرية على الأقل ، لكن هذا طراز فى الدعاية . فكأن الكاتب كان يريد التمهيد لتسليم البضاعة . كما أن إخلاء الأزهر من الدراسة رسميا يوما ما كان تمهيدًا لذلك أيضا . لكن الله رد كيد الكائدين فى نحرهم .

ومما يدل على أن أمد بكاء الإسماعيلية يطول مشروع

زعيمهم فى امتلاك حصص كبيرة من مدينة الأوقاف المزمع إنشاؤها وفى محضر المحادثة بين زعيم الإسماعيلية ورئيس الأزهر المنشور فى إحدى المجلات قبل سنين ما يكشف عن كثير من اتجاههم فى هذا الصدد . وكل ذلك من عجائب الزمن.

ورئيس طائفة العنانية من اليهود المعروف بعانان (رأس الجالوت) الذى كان قدم من المشرق فى أيام المنصور العباسى. ورئيس طائفة العيسوية من اليهود أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى المعاصر للمنصور العباسى أيضا كانا يقولان : إن محمداً ﷺ نبى مرسل لكن إلى العرب خاصة . وكانا يريدان بذلك الدس بين المسلمين وإفساد ما بين العرب وغيرهم من الأخاء الإسلامى المنصوص عليه فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات : ١٠) مع ظهور أنه ﷺ مبعوث إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً بنص القرآن الحكيم ، والنعرة العنصرية مع هجر الإخاء الإسلامى تكون انخداعا بمكر الماكرين من هؤلاء. ولا ينخدع بذلك إلا من انطمست بصيرته وتاه فى متاهة الجاهلية الأولى فنسأل الله الصون .

ولكثير من اليهود فى البلاد الإسلامية براعة فى الطب والفلسفة . ولثلاثة منهم أعمال خاصة تهم المشتغلين بشئون الإسلام فتلفت إليهم الأنظار، وهم: ابن كمونة، وابن ميمون، وابن ملكا .

فابن كمونة هو : عز الدين سعد بن منصور البغدادى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ : ملحد صريح ألف (تنقيح الأبحاث عن الملل الثلاث) تعرض فيه للنبوة محاولا أن يقضى على الأديان الثلاثة . قائلا : «عَلَىَّ وعَلَى أعدائى» : لكن قضى على نفسه من غير أن يقضى على الأديان حيث ثار الناس ببغداد ضد هذا الملحد وهموا بقتله إلا أنه وجد من يهربه فى صندوق إلى الحلة عند ابنه فأقام عنده أيامًا ثم أدركه هناك الموت - الأحمر - جامعًا بين الخسرانين كما فى (ص٤٤١) من «الحوادث الجامعة فى المائة السابعة للمؤرخ الكبير عبد الرازق الفوطى، ومن مريدى هذا الملحد اليهودى فى آخر الزمن جميل صدقى الزهاوى ، وكان يفتخر بكتاب له محفوظ عنده . وكذا الرصافى المعروف.

وقد رد على كتاب ابن كمونة الإمام الأصولى الفقيه مظفر الدين أحمد بن على بن تغلب الساعاتى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ بكتاب سماه : «الدر المنضود فى الرد على فيلسوف اليهود» ولابن كمونة عدة مؤلفات فى المنطق والفلسفة منها شرح التلويحات للشهاب السهروردى المقتول .

وابن ميمون هو : أبو عمران موسى الأندلسى تخرج فى الفلسفة على أمثال ابن طفيل ، وابن رشد فجرى على تنزيه الله سبحانه عن الجسمية وعن مشابهة الحوادث مع تأويل نصوص

كتب اليهود فى التشبيه الصريح فأصبح رئيس طائفة منهم يتزعمهم . وهو شديد التحامل على المتكلمين فى «دلالة الحائرين» لكن ترى علماء الإسلام قليلى الاهتمام بالرد عليه ، ولعل هذا التساهل منهم معه أتى من جهة سعيه الخبيث فى انتشال اليهود من ورطة التجسيم المتوارث بينهم فوجدوا فى عمله هذا تخفيف الشر فى جانب اليهود فكان هذا شفيعا له عندهم ، وتعرضه لفرق المسلمين لم يبالوا به لكونه سهل الرد عليه . كقوله فى نقض دليل المتكلمين فى نفى الجسمية عن الله من (احتياج المقدار الخاص إلى مخصص ، والمحتاج لا يكون قديمًا) بأن مقداره يكون واجبًا لا يحتمل الزيادة والنقص متغاضيا عن أن الكم المتصل القائم بالجسم عرض طارئ حيث غفل عن أن مثل هذا الوجوب مما يمكن ادعاؤه فى كل جسم يدعى قدمه مع أن قدم الأجسام ليس من مذهبه بل ذكر نحو خمس وعشرين مقدمة تنزه البارى تعالى عن الجسمية، وقد أخذ الشيخ الحرانى [١] فى معقوله بكل أسف برأى ابن ميمون هذا فى وجوب المقدار الخاص فى محاولته الرد على الآمدى فى تنزيه البارى جل جلاله عن جهة مع ظهور سقوط رأى ابن ميمون فى المقدار الخاص بما أوضحته ، كما أخذ برأى ابن ملكا فى تجويز تغير العلم والإرادة المتعلقين بالمعلوم

---

(١) هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى توفى سنة ٧٢٨ هـ (على رحمى).

المتغير - مع أن التغير فى نفس الصفة يوجب حدوث الموصوف - حتى ادعى وجوب التنزيه عن هذا التنزيه ! وهذا قياس منه للغائب على الشاهد ، وتجويز لحلول الحوادث فى الله المحال عند المتكلمين والفلاسفة فى آن واحد وحرصًا منه على استدامة تشبيه اليهود بعد تظاهره بالإسلام . وقول القائل من المتكلمين بتغير التعلق غير القول بتغير الصفة كما هو مشروح فى موضعه .

وقد وسع الشيخ الحرانى رأى ابن ملكا فى العلم والإرادة إلى أن جعله يشمل الحرف ، والصوت ، والمس ، والمشى ، والقعود والحركة ، والحد والجهة وغير ذلك بكل وقاحة فخرج عن الجادة خروجًا بينًا لا حجاب دونه . مع أنه لا تغير فى علم الله ولا فى إرادته لأنهما ليسا بزمانين ولا بمكانين كما فى الشاهد؛ بل علم الله حضورى ليس له تقدم أو تأخر زمانى أو مكانى لتعاليه سبحانه عنهما ، وكذلك إرادته جل جلاله وكل ما هو مبسوط على آنات الزمان ونقاط الخط الممدود فى المكان يعلمه تعالى علما وحدانياً ثابتاً من غير تقدم ولا تأخر فلا تغير فى علمه وإرادته سبحانه فالعمود الكبير مثلا إذا كان عليه أعلام ألوان عريضة متوازية فعند وضع النملة على لون منها تحسب أنها تمشى فى صحراء من السواد مثلا ثم فى صحراء من البياض وهكذا فإبصارها فيه تقدم وتأخر لضعف باصرتها

بخلاف باصرتنا فإننا نرى تلك الألوان بمرة واحدة بدون تقدم ولا تأخر فكيف عند الله ، وكل ما يتعلق بالله ليس له أى شبه بما عندنا ، فلا يتصور التقيد بزمان ولا بمكان لا فى علمه ولا فى إرادته وقد أخذ الشيخ الحرانى فأسقط ما عند الرجلين من الزيغ المبين ، وفى ذلك عبرة للمعتبرين ، وموسى بن ميمون توفى سنة ٦٠٠ هـ أو ٦٠٥ بمصر والكلام فيه طويل .

قال أبو حيان الأندلسى فى تفسيره (٧ - ٤٧٢) عن موسى ابن ميمون هذا. «رئيس اليهود فى زمانه بمصر ، وكان هذا اليهودى قد أظهر الإسلام ورحل من الأندلس ... فلما قدم مصر - وكان ذلك فى دولة العبيديين وهم لا يتقيدون بشريعة - رجع إلى اليهودية ، وأخبر أنه كان مكرها على الإسلام ، فتقبل منه ذلك ، وصنف لهم تصانيف منها كتاب (دلالة الحائرين) ، وإنما استفاد ما استفاد من مخالطة علماء الأندلس وتودده لهم ، والرياسة إلى الآن بمصر لليهود فى كل من كان من ذريته ا هـ».

وابن ملكا هو : أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى - صاحب المعتبر المتوفى سنة ٥٤٧ هـ قضى معظم عمره وهو يهودى ولما سمع أن ابن أفلح هجاه بقوله (وتمثل به ابن التلميذ):

لنا طبيب يهودى حماقته

إذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتـــيـــه والـكلب أعلـى منه منـزلة

كـــأنه بعـــد لم يخـرج مـن التيـــه

تظاهر بالإسلام ابتعادًا عن الـهوان والله أعلم بما فى قلبه ، وهو الفيلسوف الوحيد الذى وجد ابن تيمية بغيته عنده واتخذه قدوة لـنفســه فى القول بجـواز حلول الحوادث فى الله سـبحـانه تعالى الله عن إفك الأفاكين.

ومن المسلم به الذى لا ريب فيـه أن استذكـار أسـاليب أعداء الدين الإسـلامى فى النيل منه على طول التاريخ مـما يزيد القائم بالذب عنه والجـهاد فى سبيله بصيرة تنيـر طريق الدفاع ، ولذا يجب علينا أن نستذكر مسالكهم فى العداء ونعتبر بمواضع العـبر فـيـها لنكون عـلى بينة من أمرنـا ، وبعد أن ذكـرت بعض حيلهم فى داخل الحصن الإسلامى أكشف الستر الآن عن بعض أعمالهم العدائية من الخارج لنسـتدل بتلك النماذج اليسيرة على الـمـاﻵت الـكثيـرة المـدبرة وراء اطلاعنا وقـد امـتلأت كـتب التـاريخ بأنباء عـصبـة التعـصب من حملة الصليب الذين كـانوا تكاتفـوا فى تجـريد السـيوف عـلى الشرق الإسـلامى فى قـرون متتابعة حيث كانوا يخافـون على مصير دينهم فى عقر دارهم بما شاهدوا مـن سرعة انـتشار الدين الإسـلامى - دين الفطرة - فى الشعوب البشرية فى شتى الأصقاع .

وكانت حملاتهم متواصلة فى غاية الشدة لكن كان فى العرين أسد لا يصطلى بنارهم ، ولا يمس أنف أنفتهم أصلا إذ ذاك حيث كان المسلمون فى تلك القرون أباة أعزاء تذوقوا عز الحياة الإسلامية بالمعنى الصحيح ، وقد تغلغلت التعاليم الإسلامية فى نفوسهم تغلغلا يحملهم على الذود عن حياضها بمهجهم مضحين بكل مرتخص وغال فى هذا السبيل . ولم يكن إسلامهم مجرد إسلام المواسم الدينية ، ولا بينهم من يواد من حادَّ الله ورسوله ومالأ الأعداء خيانة أو خوراً أو جبنًا ، فحالوا دون وصول الأعداء إلى غاياتهم حتى ارتد المهاجمون علىَ أعقابهم وعادوا أدراجهم راجعين بخفى حنين.

وقد تزلزلت أقدامهم ؛ وارتعدت فرائصهم مما رأوا فى الإسلام والمسلمين من سمو المبادئ والنهوض الميمون فازدادوا خوفا على مصير دينهم فى ديارهم فحاولوا فى هذه المرحلة دفع الخطر الإسلامى عما يدينون به بإذاعة كل سوء عن الإسلام والمسلمين فى بلاد الغرب كذبًا وزورًا لكن الواقع أن نهضات أوربا فى كثير من النواحى بعد ذلك إنما كانت بسبب اتصال الصليبيين بالشرقيين فى تلك الحروب الدامية .

فمن تلك النهضات قيام اللوثريين بالإصلاح الدينى المعروف وإن كانت اللوثرية لم تستطع أن تعدو حد أن تكون صنحة من الوثنيات المتغلغلة فى باقى فرقهم ، وكم أذاعوا عن

الإسلام فى تلك المرحلة من أكاذيب ملفقة مما يندى به جبين الحر خجلا من تلك الافتراءات المكشوفة الستار ، والإسلام براء منها جملة وتفصيلا حتى إن الكاتب الغربى المعروف (هانرى دوكاسترى) كان يتألم من تلك الدعايات الكاذبة المذاعة فى البيئات الأوربية عن الإسلام والمسلمين من غير أن يكون لشىء منها ظل من الحقيقة ويقول :

«ماذا كان المسلمون يقولون لو بلغهم ما يذاع عن دينهم من الأساطير والخرافات فى الأوساط الأوربية فى القرون الوسطى إذ كان الجهل الحاكم فى تلك القرون يحوك تلك الأساطير بصنوف من العدوان المكشوف والتعصب المرذول» ثم قال : حتى إن سوء القصد المتفشى فى الأوساط الأوربية إلى اليوم ضد الإسلام والمسلمين ما هو إلا أثر باقٍ من تلك الخرافات المذاعة عنهم إذ ذاك ، وكان كل شاعر من النصارى فى تلك القرون يصور المسلمين عبَّادًا للأوثان ويقول : إن لهم ثلاثة آلهة على ثلاث درجات (١) ماهون (٢) أوبلين (٣) ترمكان: وكان هؤلاء الكتاب من أهل أوربا يزعمون : أن محمدًا ﷺ أوجد دينًا يعلن فيه عن نفسه أنه إله . وأشنع من ذلك وأغرب أن يعتقدوا فى محمد الذى هدم الوثنية وأتى على بنيانها من الأساس وحطم الأصنام وأزالها من الوجود : إنه رجل حمل الناس على عبادة هيكله المصنوع من الذهب! وكان النصارى

حينما ردوا المسلمين فى إسبانيا إلى أسوار سرقسطة أذاعوا أن المسلمين عادوا وأزالوا أصنامهم ! وكانت تلك الإذاعة الكاذبة منهم للحرص على عدم افتضاح كذبهم على المسلمين بأنهم عباد أصنام مع أنهم لم يجدوا فى مساجدهم أصنامًا حينما استولوا على بلادهم - بل قد نظم بعض شعراء ذلك الزمن الخرافة السائدة بين النصارى فى حق المسلمين قائلا : (أوبلين) - إله المسلمين - كان فى داخل غار فضربه المسلمون وامتهنوه ولعنوه وقطعوه قطعة قطعة وداسوه تحت أرجلهم ، ثم ألقوا إلههم الثانى (ماهون) فى حفرة فداسته الخنازير . والكلاب وحطمته ؛ ولم يحتقر فى الدنيا إله من الآلهة هذا الاحتقار ، ثم ندم المسلمون على ما فعلوا فصنعوا من جديد أصنامهم التى خربوها . وكان الملك شارل بعث رجالا للفحص فى كل مكان عن أصنام المسلمين حينما دخلوا سرقسطة حيث ذاعت عبادة الأصنام بينهم من جديد فدخلوا الجوامع وكسروا الأصنام فيها بمطارق من حديد - هكذا أذاعوا كذبًا وزورا -» هذا ما يحكيه كاسترو عنهم .

وقال الشاعر ريشر : إلهى أرسل عذابك على عباد (ماهون) - يريد أمة محمد عليه السلام كأنهم يعبدون صنم (ماهون) - وكان هذا الشاعر يدعو النبلاء من أهل الصليب إلى التجنيد العام ضد الإسلام ويقول : قوموا واهدموا صنم

(ماهون) وصنم (تارماكان) واحرقوهما وضحوا بهما فى سبيل إلهكم . هكذا كان شأن الغربيين فى القرون الوسطى فى عداء الإسلام والمسلمين وقد عاشت تلك الخرافات المفتراة على الإسلام مدداً طويلة فى أوربا ؛ بل القرون التالية لم تكن أحسن حالا من القرون السابقة فى روح العداء للإسلام والافتراء على الإسلام ، وإن اختلفت الأساليب.

ولما كثر المنتبهون بينهم إلى وجوه الفرية فى دعاياتهم ضد الإسلام بدأ المموهون من دعاة الغرب يسلكون طريقا آخر فى الإساءة إلى الإسلام وذلك بأن يتظاهروا بمظهر البحوث البريئة فى الإسلام وتاريخ الإسلام بالنقل عن الكتب المؤلفة فى الشرق ، فبدأوا منذ القرن السابع عشر الميلادى يترجمون إلى لغتهم بعض نصوص يتصيدونها فى كتب الشرق ، مما يرون فيه تشويهًا للتاريخ الإسلامى ، وكان أول عملهم ترجمة ما يرون من ذلك فى كتب أمثال ، سعيد بن البطريق الاسكندرانى[1] ، والشيخ المكين جرجس بن العميد [2] ، وأبى الفرج غريغوريوس بن هرون الملطى[3] من نصارى الشرق، ثم فى مصادر ألفها غلاة الشيعة - أذيال ابن سبأ السابق ذكره - ثم فى كتب أمثال الواقدى ، وابن هشام ، والطبرى ، وسائر الكتب

---

(١) توفى سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) توفى سنة ٦٧٢ هـ

(٣) معروف بابن العبرى توفى سنة ١٢٨٦ م وتواريخ الثلاثة مطبوعة .

الجامعة لكن غث وسمين ، مما تحتاج نصوصه وأسانيده إلى نظر فاحص ، ونقد شامل وكان اهتمامهم بادئ ذى بدء بكتب السير والمغازى علمًا منهم بأن التشكيك فيها يثمر ثمرات المروق والتحلل فى مقلدة الغرب من أبناء الشرق الأغرار لجهلهم بمداخل التلبيس ووجوه الفساد فى عروضهم للأبناء ولعدم تضلع هؤلاء الأبناء فى العلوم الإسلامية .

وأمثل من كتب فى السير من رجال الصدر الأول موسى ابن عقبة ، وعليه يعول البخارى ، وقد أثنوا عليه خيرًا إلا أن رواياته عن ابن شهاب ، وقد ذكر الإسماعيلى الحافظ أنه لم يسمع منه شيئًا . وابن شهاب تغلب عليه المراسيل فى باب السير والمغازى، ومراسيله شبه الريح عند ابن القطان والشافعى. وأما ابن جرير الطبرى صاحب التاريخ فجليل القدر فى الحديث والتفسير والفقه لكنه لم يضمن صحة ما أورده فى تاريخه بل قال فى (١ -٥) : «فما كان فى كتابى هذا مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه . من أجل أنه لم يعرف له وجهًا فى الصحة ولا معنى فى الحقيقة فليعلم أنه لم يأت ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا . وإنما أدينا ذلك نحو ما أدى إلينا» ، وقال هناك أيضًا : «إذا لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج» فبهذا يعلم أنه تبرأ من عهدة رواياته فى التاريخ وحملها على أكتاف رواتها له ؛ ومحمد بن إسحاق صاحب المغازى اختلف فيه أهل

النقد، وقد كذبه كثير منهم. وكان أبو حنيفة ومالك لا يرضيانه، ومن قواه فى المغازى اشترط فى رواياته شروطًا لا تتوفر فى مواضع الريبة . وفى «فهرست» ابن النديم كلام طويل فيه، فمنه. «مطعون غير مرضى الطريقة يحكى أن أمير المدينة رقى إليه أن محمدًا يغازل النساء فأمر بإحضاره .. وضربه أسواطًا ونهاه عن الجلوس فى مؤخرة المسجد وكان حسن الوجه .. ويقال كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها فى كتابه فى السيرة فيفعل ، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر..» والجمهور على تقويته فى المغازى بشروط معروفة ، وروايات مثله يجب التروى فيها ولو بالنظر إلى رجال الأسانيد إليه ، فراويته زياد البكائى مختلف فيه ؛ ضعفه النسائى وتركه ابن المدينى وقال فيه أبو حاتم : لا يحتج به . وراويته الآخر سلمة بن الفضل الرازى مختلف فيه أيضا ، يقول عنه أبو حاتم : لا يحتج به . وراويته سلمة هذا هو محمد بن حميد الرازى مختلف فيه ، وقد كذبه كثيرون أشنع تكذيب ، وبطريقه يسوق ابن جرير روايات ابن اسحاق . وأما هشام بن الكلبى وأبوه والواقدى فالكلام فيهم معروف ، وأما راويته الوليد ابن مسلم محمد بن عائذ الدمشقى فيقول عنه أبو داود : هو كما شاء الله. وأما سيف بن عمر التميمى صاحب كتاب الردة والفتوح فمتروك الحديث عند أبى حاتم ، وقد ضعفه غير واحد

بل رماه ابن حبان بالوضع ، والراوى عنه شعيب بن إبراهيم من المجاهيل عند ابن عدى والذهبى. وله أخبار فيها تحامل على السلف ، والراوى عن شعيب هذا السرى بن يحيى غير موثق وهو شيخ ابن جرير فى رواياته عن سيف . وأما من فوق سيف من الرجال فمجاهيل فى الغالب . فإذا كانت أسانيد ابن جرير فى السير كما ذكرناه تعين وجوب التحرى فى رواياته فى السير لاسيما فى مواضع الانفراد . فضلا عن وجوب ذلك فيمن هو دونه فى العلم من جملة السير . فاليعقوبى شيعى متحامل وأبو الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى من رجال الأسمار لا من مصادر صحيح الأخبار: كان يأتى بأعاجيب بـ «حدثنا وأخبرنا» وقد اتهم ، قال النوبختى : كان أكذب الناس ، يدخل سوق الوراقين وهى عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشترى كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منها ا هـ .

وقد أغنى الله تعالى أهل العلم من هذا الظنين. وتلك نماذج من مصادر السير وأخبار الصدر الأول تحمل الحريص على الحقائق على التحرى البالغ فى أسانيد الأخبار ولا سيما فى مواضع الانفراد ومواطن الريب التى يتمسك بها أعداء الإسلام جهلا منهم أو تجاهلا للعلل القاضية على تلك الأخبار . والتوسع فى معرفة نقد الرجال به يعرف المرء كيف يرد الفرية ويقوى القوى ، فيحتمى من الوقوع فى أفخاخ الأعداء المنصوبة

للكيد بالإسلام . وقد توسعت بعض توسع فى ذلك فى مقال لى فى مجلة الإسلام (٥-١٣٦٢) تحت عنوان «خالد بن الوليد وقتال مالك بن نويرة» وأبديت هناك شتى العلل فى الأخبار المتضاربة فى حادثة ابن نويرة . ومن طالع كتب أخبار الصدر الأول التى ألفها الأظناء المتهمون من رجال الشرق أو الغرب من غير خبرة فى مداخل الفساد فى تلك الأخبار ووجوه التدليس فيها وألف أو ترجم شيئًا منها من غير تمحيص هلك وأهلك وضل عن سواء السبيل .

فأوصى كل حريص على دينه وكرامته أن يحتاط غاية الاحتياط فى أنباء الصدر الأول بتعرف طرق تصفيتها بمصفاة العلم ووجوه عيارها بمعايير الفهم نسأل الله سبحانه الصون والعون .

وقد قلت فى مقال لى : إنه لا يخفى على الباحث مبلغ سعى أعداء الإسلام فى كل دور ، ووجوه تجدد مكرهم فى كل طبقة . فمن ألوان مكرهم فى عهد تدوين الروايات اندساس أناس منهم نقلة الأخبار متلفعين بغير أزيائهم لترويج أكاذيب بينهم مما يشوه سمعة الإسلام وسمعة القائمين بالدعوة إلى الإسلام فراجت تلك الأكاذيب المدبرة على نقلة لم يؤتوا بصيرة نافذة فخلدوها فى الكتب ، حتى ظل الكائدون يتذرعون بها فى كل قرن للكيد بالإسلام لكن الله سبحانه أقام ببالغ فضله جهابذة

تضع الموازين القسط لتعرف الأنباء الصافية العيار . من نبهرج الأخبار فأصبحت تعاليم الإسلام وأنباء الإسلام فى حرز أمين من دس الدساسين عند من يعرف أن يزنها بتلك الموازين. وكانت طريقة كتاب الغرب فى النيل من الإسلام طريقة الإقذاع المجرد والبهت الصرف إلى أن جد لهم منذ قرنين منهج فى تشويه الحقائق . يتصيدون أكاذيب من كتب الشرق . متظاهرين بمظهر البحث العلمى البرىء . فأخذ من له صلة بهم من أبناء الشرق الأغرار . ينخدع بكتاباتهم وينشر خزعبلاتهم بين بنى قومه فاستشرى الشر ، ووجب تدارك الأمر ، فأصبح الحتم اللازم على كُتَّاب «السير» - من أدباء اليوم - أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم إزاء الكتب المؤلفة فى السير فى الشرق والغرب قديمًا وحديثًا ، وأن يضاعفوا السعى فى تمحيص الحقائق بالموازين المعتبرة عند أهل النقد ، بدون أن يجعلوا لأقلامهم الحرية المطلقة التى تعودوها فى سبك القصص والروايات العصرية ، والموضوعات الأدبية فى الصحف السيارة محتاطين غاية الاحتياط فى إيداع آرائهم ونقولهم فى الكتب ، متريثين إلى نتيجة عرضها لمحك النقد الصحيح . فإذا تبصروا هكذا فى تعرف دخائل الكتب الشرقية خاصة يسهل عليهم القضاء على صنوف الكيد فى كتب الغربيين .

ومؤلفات الغرب ضد الإسلام فى القرن الثامن عشر

الميلادى وما بعده مسرودة فى مقدمة كتاب (سير النبى) ﷺ للعلامة شبلى النعمانى الهندى وهو كتاب جيد فى تمحيص السيرة النبوية والرد على المشككين فيها قليل الأخطاء بالنسبة إلى غيره ، والغريب انخداع كثير من كتاب الشرق فيما يؤلفونه فى السير وتاريخ الصدر الأول بمؤلفات هؤلاء .

والأغرب من ذلك أن نرى صاحب المنار (١) يقرظ كتاب البرنس كايتانو الإيطالى - فى عشرة مجلدات - فى تاريخ الإسلام المعروف بالحوليات ويثنى عليه خيراً مع أنه من شر ما كتب فى هذا الموضوع مهما تظاهر مؤلفه بمظهر الباحث البرىء، وتراه أيضا يثنى فى مناره على تاريخ الإسلام للدكتور دوزى الهولندى مع أنه من أشد من ألف من الأوربيين فى تاريخ الإسلام تشويها للحقائق . فإذا كان المتجرد للذب عن الإسلام فى مدرسة الشيخ عبده (٢) يكيل الثناء جزافا هكذا لأضر الكتب قبل أن يطلع على أصل الكتابين ولا على ترجمتهما فماذا تكون حال الشبيبة الذين ينهلون من مناهل الغرب قبل أن يتضلعوا فى العلوم الشرقية ؟ - وقى الله الإسلام شر مثل هذا الذاب عن حريم قدس الإسلام - ثم بدأ المستشرقون من اليهود ومعهم غيرهم يبحثون فى القرآن ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والفقه وأصوله ، وعلم أصول الدين ، وتاريخ النحل بغية أن يجدوا

---

(١) الشيخ رشيد رضا .

(٢) شيخ الإسلام محمد عبده .

فيها ما يمكنهم من التشكيك فى أصول الإسلام ساعين جهدهم فى إخفاء غاياتهم من تلك البحوث متظاهرين بالإنصاف فى بعض المسائل ليلقوا فى روع ضحاياهم أنهم على الحق فى جميع بحوثهم . وما هم إلا كصياد يرمى طعما شهيا ليظفر بصيده كله غنيمة باردة ، والوقوع فى الفخ عاقبة من يمم مناهل الغرب قبل أن يرتوى من معين الشرق الفياض بما فيه وقاية لحياته الروحية . وضحايا هذا الفريق من المستشرقين فى غاية الكثرة .

ومن أخطر هذا الفريق المموه غرلد زيهير المجرى الدم ، اليهودى النحلة . العريق فى عداء الإسلام ، الماضى فى هذا السبيل طول حياته ، وهو من رجال أوائل القرن الميلادى العشرين ، وله دراسات فى القرآن وعلوم القرآن ، وفى الحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، وفى الكلام وفرق المتكلمين . محتال ماهر فى توليد ما يشاء من نصوص يتصيدها من مصادر تعجبه باعتبار غايته . مغالطا فى تحميلها ما لا تحتمله من المعانى عند أهل البصيرة ، ومتجاهلا اختلاف منازل تلك المصادر فى الثقة والتعويل ، فلو شكلت لجنة علمية لفحص كتب هذا المجرى المنطوى على عداء بالغ للإسلام لوضح الصبح لكل ذى عينين ، ولسهل الرد على الماكر المخادع ؛ لكن ترجمة تلك الكتب بمعرفة بعض الأزهريين من غير عدة

كافية ، ونشرها بدون ردود وافية ، وعرض شكوك المشككين من أعداء الإسلام هكذا لأنظار الناطقين بالضاد ، تكون نيابة عن الفاتنين فى إيصال تشكيكاتهم إلى البيئات الإسلامية ، وهذا يتحتم أن يكون مما لا يرضاه الأزهر : معقل الإسلام الأوحد - فيما نرى - فيجب أن يكون القرار الذى كان الأزهر أصدره قبل سنين فى ترجمة كتب أمثال غولد زيهير ونشرها مشروطا باستيفاء الردود عليها كاملة غير منقوصة فى غير هوادة ، وإلا كان الأزهر عمل نقيض واجبه. رغبة منه فى التظاهر بمظهر التجديد العصرى ، غير آبه بالغاية الأصلية من وجود الأزهر ومن إغداق مال الأمة عليه . والواقع أن مرض مسايرة الزمن قد يوقع العالم المائع فى النظر إلى الشرق بمنظار مصغر ، وإلى الغرب بمنظار مكبر فيلبى مسرعا النداءات الموجهة إليه من هيئات غير إسلامية ، مع إغفال كثير من رغبات الجماعات الإسلامية ، ويتسرع فى إيفاد ممثلين إلى مؤتمرات الأديان أو القوانين والشرائع فى العالم الغربى والشرقى - بدل الاهتمام بترقيع الخروق فى الداخل واستكمال النقص البارز فى العلوم الأصلية - ويبعث بعثات إلى جامعات المستشرقين فى أوربا لا لنشر الإسلام فى تلك الأصقاع ، بل للتضلع فى العلوم الإسلامية على أيدى أساتذة تلك الجامعات المنطوين على أغراض عدائية اكتساحية نحو الشرق الإسلامى ، ويتآخى بصفاء

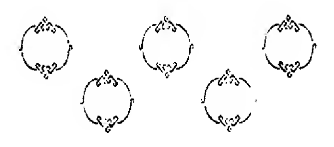
مع شتى الأديان والنحل : فيتساهل مع جماعات تتكون فى الداخل أو الخارج بتوجيه (برانى) من رجال شتى الأديان والنحل والمذاهب المنحرفة عن مناهج أهل الحق تحت ستار التقريب بين الطوائف ، وزرع التحابب والاخاء بينهم ، وردهم جميعا إلى الأصول المتفق عليها بين الأديان وإغفال مواطن الشقاق والخلاف لتكون لهم رسالة مشتركة خالدة لا اختلاف فيها ودين موحد (دين اسبرنتو) . والذين يراد إيقاعهم بذلك فى الأحبولة هم المسلمون وتلك الجمعيات التى تلهج بتوحيد الأديان إنما يريدون استزلال قدم الشرق من موقف الاستمساك بدين الإسلام ، وفقه الإسلام باسم أن التمسك تعصب يجب هجره ، فيصبح هكذا لقمة سائغة فى حلوق المبتلعين من الغربيين ، لأن من لا تمسك عنده ، لا غيرة ولا حمية ولا عزة ولا كرامة عنده ، فيكون كيانه فى مهب الريح . وذلك الدين الموحد لا يكون دين الإسلام قال الله تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة : ١٢٠) وقال ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران : ١٩) وقال : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل﴾ (آل عمران : ٨٥) . فيكون (دين اسبرنتو) والذى يدعو إليه هؤلاء غير دين التوحيد الذى قام بالدعوة إليه خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وتلك أمور تعجل الانحلال الدينى والخلقى والسياسى فى الجماعة وتبدد كيان الفقه الإسلامى - الذى حفظ ديننا وكياننا وعزتنا وكرامتنا من فجر الإسلام إلى اليوم - وتزيل أيضا من النفوس تلك العقيدة الإسلامية التى كونت هذه الأمة كأمة حية ذات عزة خالدة .

وأقل ما فى بعث عضو إلى مؤتمر الأديان الاعتراف - باسم المسلمين - بأن الإسلام على قدم المساواة مع الأديان الباطلة فى نظر المسلمين ، فأى كسب فى هذا ؟ وأنَّى يقر الإسلام هذا الوضع ؟ وكيف يستسيغ مسلم أن يتخلى عن بعض أحكام الإسلام للتقرب إلى دين غير دينه ؟ وما ذلك إلا إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض . ثم ماذا نكسب من اعتراف مجمع قانونى بأن يكون الفقه الإسلامى من مصادر التشريع غير جعله فى صف القانون الرومانى المعروف ؟ وهذا اعتزاز هزيل ممن لا يعرف مبلغ أخذ التشريع الأوربى عن الفقه الإسلامى عامة وعن فقه مالك خاصة بمناسبة المجاورة كما يظهر من تاريخ الكنيسة لموسهيم وقد ألف الشيخ مخلوف المنياوى من فضلاء المالكية فى أواخر القرن الهجرى المنصرم كتابا فيما أخذه الغرب من مذهب مالك ، وهو محفوظ فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٨٥ فى الفنون المتنوعة ، ويعلم من كتب أهل الشأن أن أهل أوربا هم الذين كانوا عالة على علومنا فى زمن من

الأزمـان ، لا أننا عالة عليـهم يومـا ما فى كل شىء حـتى الفقـه الإسـلامى والعلوم الإسلامـية . وتلك المـحاولات من الأعـداء بواسطة صنائعهـم فى بلاد الإسلام إنما هى لإزالة مـا نحمله فى قـرارة نفوسنا مـن اعتـقاد القـداسـة فى الفـقه الإسـلامى بحق ، لنجعله فى صف القوانين الوضعية التى تتبدل وتتغير بتغير أهواء الحكام فإذا نجحنا فى ذلك نكـون قد قطعنا بأيدينا هذا الرباط القوى الذى به كـان تماسكنا ، فنقع فى فوضى تشريعية ، وهذه غاية لها قيمتها فى نظر أعـداء الإسلام فيثيرون بواسطة صنائعهم فى الداخل بين حـين وآخر تحبيب المسـاس بالفقـه الإسلامى بشتى المحاولات من توحيد وتقريب ومقارنة بينه وبين القوانين السابقة وتصـفية لمسائله بمصفـاة الغرب باسم الإصلاح ، وكل ذلك مـما رأينـا بوادره الخطرة فى الأزهر الحـديث منذ سنوات وتحدثنا عن كـثير من ذلك فى حـينه ، ولا يسع المقام للإفـاضة فى دخائل هذه الاتجاهات ، وإنى أرى أن الشيخ الذى يولى أمر الأزهر قريبـا سيجد التـركة فى غاية الثقل من كل ناحـية إذا أراد القيـام بواجبه كـشيخ للمـعقل الأوحد للإسـلام وعلوم الإسلام فنتـمنى له التوفـيق فى تقـويم الاتجاه وإصـلاح شـئون التـعليم والتهذيب والنهوض بالأزهر والله سـبحانه هو الهادى والموفق ، وإليه مرجع الأمر كله . وآخر دعـوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه الراجى غفران ذنوبه محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى عفى الله عنهم وعن أمهاتهم وقرابتهم ومشايخهم في يوم الخميس ١٤ المحرم سنة ١٣٦٧ هـ حامدا ومصليا ، بمنزله فى القاهرة حرسها الله تعالى .



فهرس الرسالة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة


من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري